علاقة علم الكلام بغيره من العلوم

هناك علوم تعدّ من مبادئ علم الكلام ويجب على المتكلم الاطلاع عليها والاستفادة منها في اثبات القضايا الكلامية. ومن جهة أخرى فإن بعض العلوم الدينية تقتبس من القضايا الكلامية، الطائفة الأولى عبارة عن:

ألف) علم الكلام والمنطق

يعدّ المنطق من مبادئ علم الكلام، لأن الاستدلال الكلامي إما عقلي أو نقلي، والاستدلال العقلي إما استدلال مباشر أو قياس ، والقياس إما برهان أو جدل أو خطابة. وقد شرحت أصول وقواعد تلك الصناعات في علم المنطق. والدلة النقلية إذا أريد لها أن تكون يقينية فلا بد أن تكون من سنخ الخبر المتواتر وقد بحثت شروط اليقين والتواتر في المنطق أيضا. ومن الواضح أن البحث الروائي ومعرفة أحوال الرواة وتصنيف الروايات والمحدثين، تبحث في علمي الدراية والرجال.

ب) علم الكلام ونظرية المعرفة

ومن العلوم التي تعدّ مدخلا لعلم الكلام هي أبحاث نظرية المعرفة والتي تتناول أبحاثا من قبيل إمكان المعرفة ، ومناهج المعرفة واعتبار كل واحد من المناهج كالمعرفة التجريبية والعقلية والشهودية والنصيّة وغيرها وما لم تتضح القيمة المعرفية للمناهج التي تسلك في علم الكلام ولم يعرف المتكلمون لغة الدين ولم يثبتوا كون القضايا الكلامية ذات معنى، لا يمكنهم أن يقدموا بيانا صحيحا للدين ولا يتمكنوا من الدفاع عنه. فلا بد للمتكلم قبل البحث في القضايا الكلامية أن يحيط بمسائل حجية العقل وأدوات المعرفة ومصادرها وقيمة المعرفة وموانعها وغيرها من القضايا المتعلقة بماهية المعرفة الانسانية والخصائص التي ينبغي توفرها في فاعل المعرفة ليتمكن من تبيين المسائل الميتافيزيقة وهي من أساسيات علم الكلام ويدافع عنها.

ج) علم الكلام والفلسفة الاولى

تعدّ كثير من أبحاث الأمور العامة في الفلسفة الاولى من مبادئ علم الكلام أيضا، لأن علم الكلام يتكفل اثبات الحقائق الميتافيزيقية من قبيل وجود الله تعالى والملائكة ، وحقيقة الوحي ، النبوة والمعاد وكل هذه متفرعة على معرفة صحيحة للوجود ومراتبه من المادة والمجرد التام وفوق التجرد ومعرفة عوالم الغيب والشهادة و... الخ.

ويشترك علم الكلام مع الفلسفة سيما الفلسفة الاسلامية في بعض مسائل الإلهيات بالمعنى الأخص من قبيل اثبات وجود الله والصفات الإلهية، ومعرفة النفس والتي تمثل أحد الطرق لمعرفة الله ومقدمة لاثبات المعاد والعقول أو الملائكة وهي واسطة الفيض بين العالم الربوبي وعالم المادة مشتركة بين علم الكلام والفلسفة، لكنها تختلف من بعض الجهات.

د) الاختلاف بين الفلسفة والكلام

ألف) الموضوع، موضوع الفلسفة موضوع واضح وهو الموجود أو الوجود بما هو موجود أو وجود ، اما موضوع علم الكلام فهو أمر كلي وجامع اعتباري العقائد الدينية وليس له موضوع واحد كالفلسفة وكل قضية من سنخ القضايا الاعتقادية فعلى علم الكلام أن ينظمها ويبينها ويدفع الشبهات الواردة عليها. أما الفلسفة فموضوعها الموجود بما هو موجود ومسائلها هي العوارض الذاتية للموجود أو الوجود.

ب) الاختلاف في الهدف والغاية ، غاية الفلسفة هي معرفة الحقيقة، والفيلسوف يسعى لاستكمال النفس من خلال معرفة حقائق الموجودات وملتزم بما يوجبه العقل البرهاني عليه، بينما يعمل المتكلم على فهم حقائق الدين الذي اعتنقه ويبينها وينسقها ويدفع الشبهات عنها.

ج) الاختلاف في المنهج، يفكر الفيلسوف بعقل برهاني ويتبع منهجا واحدا ، أما المتكلم فهو متعدد المناهج أي أنه يستعين بالمنهج العقلي، البرهاني والجدلي ، وأيضا بالمنهج النقلي.

هـ) علم الكلام والقرآن والحديث

إن علم الكلام ـ كما تقدم ـ قائم على دعامتين هما العقل والنقل. وبالعقل تثبت القضايا الأساسية لعلم الكلام مثل وجود الله، التوحيد، الوحي، المعجزة وحجية الكتاب والسنة. ولهذا السبب فإن العقل متقدم على الكتاب والسنة، لأن حجية العقل بنفسه ، أما حجية الكتاب والسنة فإنما تثبت بالعقل. كما يقول اللاهيجي،

«للعقل استقلال تام في تحصيل المعارف الالهية وغيرها من المسائل العقلية ولا يتوقف ذلك على ثبوت الشريعة» ويقول بعد ذلك «حقيقة الشريعة إنما تتحقق في نفس الأمر بالبرهان العقلي ... وإذا ظهر تعارض بين قضية حكمية ثابتة بالبرهان الصحيح مع قاعدة شرعية ، وجب تأويل القاعدة الشرعية».

إن اثبات حجية الكتاب والسنة يستند الى حجية العقل، إلا أن العقل أيضا يحتاج الى الكتاب والسنة ففي كثير من المسائل الميتافيزيقية ولا سيما المعارف المتعلقة بالمبدأ، المعاد، الملائكة ، اخبار الانبياء السابقين، معرفة الامام بعد النبي ، الخاتمية وغيرها فهذه قضايا يعتمد المتكلم في اثباتها والدفاع عنها على الكتاب والسنة، فمثلا ضرورة الامامة تثبت بالعقل ، إلا أن النص على شخص الامام إنما يثبت بأخبار النبي وبعده باخبار المعصوم.

و) علم الكلام والعلوم التجريبية

قد يتبادر الى الذهن أن بين هذين العلمين تمايز وافتراق ، لأن موضوعهما كما أن مسائلهما وأسلوب البحث فيهما وغاياتهما مختلفة وما يذكر في عصرنا غالبا هو التعارض بينهما، إلا أنه بالتدقيق أكثر يمكن القول إن هذين العلمين رغم تغايرهما فإن بينهما تعاون أيضا، أي أن علم الكلام من جهة يستفيد من معطيات العلوم التجريبية بأخذها مقدمة في الاستدلال الكلامي، من قبيل استدلال المتكلمين بالنظم والاتقان الحاكم على نظام الخلقة باعتباره أحد أدلة اثبات وجود الله وصفاته جل جلاله، ويستندون الى فرضية حدوث العالم لاثبات القدرة الإلهية وغيرها. ومن جهة أخرى فإن علم الكلام يوجه العلوم التجريبية ولا سيما في مسئلة

الإيمان بالله الذي يؤدي دورا أساسيا من حيث كيفية استعمال معطيات العلوم الطبيعية.

إن اختلاف علم الكلام مع العلوم التجريبية أمر طبيعي، لأن المتكلمين يفسرون كتاب التدوين الذي أنزل على الإنسان والعلماء التجريبيين يفسرون كتاب التكوين. ولكل من التفسيرين قبلياته ومفروضاته الخاصة. ولهذا ، ربما تطابقت القضايا الدينية مع القضايا العلمية وربما اختلفت، فقد يكون تفسير استنباط المتكلم من الدين في غير محله واحياناص يكون تفسير العالم التجريبي للطبيعة على خطأ. فتعارض العلم والدين الذي أصبح من الأبحاث الطويلة الذيل في عصرنا ليس تعارضا بين كتاب التكوين وكتاب التدوين، لأن نفس الإله الذي خلق كتاب التكوين هو الذي أنزل كتاب التدوين، وإنما التعارض بين فهم العلماء التجريبيين لكتاب التكوين وفهم علماء الدين لكتاب التدوين الإلهي.